الآفة التاسعة والثلاثون
الاحتقار

والآفة التاسعة والثلاثون التى ليست أقل خطرًا من سابقتها إنما هى: « الاحتقار ». وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلى بها، ويحترز منها من سلمه الله عز وجل منها، فإنه لابد من تصور دقيق لأبعاد ومعالم هذه الآفة، وذلك من خلال هذه الجوانب :

الجانب الأول : ماهية الاحتقار لغة واصطلاحًا :

لغة : الاحتقار : لغة :

١ ـ الاستصغار تقول : تحاقر : تصاغر وتحاقرت إليه نسبه : تصاغرت[١] ومنه قوله ﷺ : « إياكم ومحقرات الذنوب . . . الحديث »[٢] يريد : صغائر الذنوب ولا تعارض بين هذه المعانى إذ الاحتقار هو الاستصغار المؤدى إلى الإذلال والإهانة مطلقًا أعم من أن تكون مع المبالغة أو بلا مبالغة .

٢ ـ الإذلال ، والاستهانة يقال : حقر الشيء حقرًا ، وحقرة ، وحقارة أذلة ، واستهان به ، وفلان : حقير أى : ذليل وهين .

٣ ـ المبالغة فى الاحتقار : تقول حقرة : بالغ فى حقره .

اصطلاحًا : أما الاحتقار اصطلاحًا هو : استصغار شخص ما أو طائفة لشخص آخر أو لطائفة أخرى فى نفسه، أو فيما يصدر عنه بصورة تؤدى إلى الإذلال والإهانة مع المبالغة أو بلا مبالغة .

الجانب الثانى : سمات الاحتقار مع بيان موقف الإسلام منه والدليل :

للاحتقار سمات تدل عليه منها :

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ١/١٨٧، الصحاح فى اللغة والعلوم للمرعشليين ص ٢١٧ بتصرف .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ١/٤٠٢، ٤٠٣ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ وتمامه : « فإنهن تجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادًا ، أجّجوا نارًا ، وأنضجوا ما قذفوا فيها » .

١ ـ مقاطعة الكلام ومصادرته، وإظهار معايبه .

٢ ـ محاكاة السلوك القولى ، والفعلى .

٣ ـ السب ، والشتم ، والإهانة .

٤ ـ الإبعاد من الصدارة ، والزيادة .

٥ ـ الترفع عن مشاركة المحتقر الحديث .

إلى غير ذلك من السمات .

ويقف الإسلام من الاحتقار موقف الرفض ، بل والتحريم إذ يقول ﷺ : « . . . المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا » ويشير إلى صدره ثلاث مرات : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه »[١] .

وقال أبو حُرَى جابر بن سليم : رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلا صدودًا عنه، قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا رسول الله ﷺ قلت : عليك السلام يا رسول الله : مرتين، قال : « لا تقل : عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الميت، قل : السلام عليك » .

قال : قلت : أنت رسول الله ﷺ ؟ قال : « أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضر فدعوته كشف عنك وإن أصابك عام سَنَة، فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء، أو فلاة فضَلَّت راحلتك فدعوته ردَّها عليك » قلت : اعهد إلىَّ قال : « لا تَسُبَّنَّ أحدًا » قال : فما سببت بعده حرًا ولا عبدًا، ولا بعيرًا، ولا شاة . قال : « لا تحقرن شيئًا من المعروف، وأن تكلِّم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرءٌ شتمك وعيرك بما يعلم فيك، فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه »[٢] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم . . . ص ١١٢٤ رقم ٣٢/ ٢٥٦٤/ ٦٥٤١، والترمذى فى: السنن : كتاب البر والصلة ص ٤٤٩ رقم ٦٩٢٧، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب البغى ص ٦١٣ رقم ٤٢١٣ كلهم من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا ، وأحمد فى : المسند ٣/ ٤٩١ من حديث واثلة بنى الأسقع ﷺ مرفوعًا .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب اللباس : باب ما جاء فى إسبال الإزار رقم ٤٠٨٤، وذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى فى صحيح أبى داود ٢/ ٧٦٩، وقال: «صحيح» والترمذى فى: السنن: كتاب الاستئذان : باب ما جاء فى كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئًا ص ٦١٧ رقم ٢٧٢٢ كلاهما من حديث جابر بن سليم ﷺ مرفوعًا، وعقب الترمذى على حديثه بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

وقال ﷺ : « يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة لجارتها، ولو فرسن شاة » (١) .

وقال ﷺ : « إن من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير الحق » (٢) .

إلى غير ذلك من الأحاديث .

ومن قبل قال الله ـ عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾ [الحجرات] .

وقال سبحانه ـ حكاية عن رد الملأ على نوح عليه السلام إذ قالوا : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) ﴾ [الشعراء] .

ورد نوح عليه السلام عليهم بقوله : ﴿وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣٠)﴾ [هود]

الجانب الثالث : آثار الاحتقار ، وعواقبه :

أ ـ على العاملين :

هناك آثار سيئة للاحتقار، وعواقب وخيمة، على العاملين نذكر منها :

١ ـ الغضب والسخط الإلهى :

ذلك أن الله جعل رحمته فى صحبة الضعفاء ومجالستهم ، إذ يقول سبحانه : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف] .

فإذا ما نظر إلى هؤلاء نظرة احتقار، وانتقاص وإهانة كان العقاب الإلهى المتمثل فى غضبه، وسخطه سبحانه . إذ يقول أبو هبيرة عائد بن عمرو المزنى ـ وهو من أهل

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب لا تحقرن جارة لجارتها ص ١٠٥٢ رقم ٦٠١٧ وكتاب الهبة : باب فضل الهبة ص ٤١٥ رقم ٢٥٦٦ ومسلم فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة، ولو بالقليل ص ٤١٥ رقم ٩٠/ ١٠٣٠/ ٢٣٧٩ كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى الغيبة ص ٦٨٨ رقم ٤٨٧٦ وذكره الألبانى فى : صحيح أبى داود ٣/ ٩٢٣ وقال : « صحيح » وأحمد فى : المسند ١/ ١٩٠ رقم ١٦٥١ كلاهما من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا وروى أبو داود : رقم ٤٨٧٧ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إن من أكبر الكبائر استطالة المرء فى عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر السبتان بالسبة » .

بيعة الرضوان ـ ﷺ : إن أبا سفيان أتى على سلمان، وصهيب، وبلال فى نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر ﷺ : أتقولون هذا لشيخ قريش، وسيدهم فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: « يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك » فأتاهم فقال: يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخى (١) .

٢ ـ الحرمان من التأييد ، والعون الإلهى :

ذلك أن الله يعطى نصره بسبب الصالحين ، والضعفاء ، وعليه قالوا بوجوب احترامهم ، وتوقيرهم ، لمكانتهم فى الأمة ، فإن قوبلوا بالاحتقار والحط من أقدارهم: سحب الله نصره وتأييده من أولئك الذين حطوا من أقدارهم واحتقروهم .

جاء فى بيان فضل الصالحين والضعفاء قول نوح عليه السلام ردًا على الملأ الذين احتقروا الضعفاء ، والفقراء ، طالبين منه طردهم : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [هود] .

وقول النبى ﷺ : «ابغونى الضعفاء، فإنما تنصرون، وترزقون بضعفائكم»(٢) .

٣ ـ الاعتداء على حرمات المحتقر :

ذلك أن المحتقر ينظر إلى المحتقر على أنه ضعيف لا حول له ولا قوة وقد تحمله هذه النظرة على العدوان عليه فى حرماته من سفك دم وانتهاك عرض وسلب مال ونحو ذلك .

على نحو ما صنع ويصنع الكراء فى ظل عصر ، ومصر مع الضعفاء والفقراء .

٤ ـ ضياع رصيد المحتقر من الحسنات :

ذلك أن الاحتقار يكون سببًا فى تضييع رصيد المحتقر من الحسنات؛ لأنه يقضى عمره فى سبِّ الآخرين، وقذفهم، وسلب أموالهم، وسفك دمائهم وكل ذلك على حساب رصيده من الحسنات .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سلمان، وبلال، وصهيب ﷺ ص ١١٠٢ رقم ١٧٠/ ٢٥٠٤/ ٦٤١٢ من حديث عائذ بن عمرو ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد : باب فى الانتصار برذل الخيل والضعفة ص ٣٧٥ رقم ٢٥٩٤ من حديث أبى الدرداء ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما المفلس؟ » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ، ولا متاع فقال : « إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة، وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه : أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » (١) .

٥ ـ تسليط الجبارين على المحتقرين :

ذلك أنه مضت سنة الحق سبحانه أنه كما يدين المرء يدان وعليه فإن المحتقرين للضعفاء والفقراء يبتليهم الله بمن هو أقوى منهم يستذلونهم ويسومونهم العذاب من باب : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] . ومن باب : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام] .

٦ ـ كراهية الناس للمحتقرين والابتعاد عنهم :

ذلك أن الناس يحبون من يحنو عليهم ، ويعرف قدرهم ، ويقترب منهم ، وعلى العكس يبغضون من يقسو عليهم ، ويهنهم ويبتعدون عنه وعليه فإن من كانت مسيرته فى الحياة احتقار الآخرين، والعدوان عليهم، فإن الناس يبغضونه، وينفضون عنه لا سيما فى ساعات الشدائد والمحن، فيندم، ولا ينفع الندم، ويتحسر ولا تفيد الحسرة.

٧ ـ تعريض النفس لدعوات المحتقرين المقهورين :

ذلك أن المحتقرين المقهورين لا يجدون ملاذًا ولا مأوى إلا الله، فتراهم بالليل والنهار يستغيثون الله، ويستصرخونه الانتقام ممن احتقروهم وآذوهم، وهؤلاء لكونهم مظلومين، منقطعين يجيب الله دعاءهم، لحديث : « . . . وإياك ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر ، والصلة : باب تحريم الظلم ص ١١٢٩ ، ١١٣٠ رقم ٥٩/ ٢٥٨١ / ٦٥٧٩ من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ .

(٢) الحديث جزء من حديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب وجوب الزكاة ص ٢٢٤، ٢٢٥ رقم ١٣٩٥، وباب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا ص ٢٤٣ رقم ١٤٩٦، وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس فى الصدقة ص ٢٣٦ رقم ١٤٥٨، وكتاب المظالم : باب الاتقاء ، والحذر من دعوة المظلوم ص ٣٩٥ رقم ٢٤٤٨، وكتاب المغازى : باب بعث أبى موسى ، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ص ٧٣٦، رقم ٤٣٣٧، وكتاب التوحيد : باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ص ١٢٦٨ رقم ٧٣٧١، ٧٣٧٢، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ص ٣١ رقم ٢٩ / ١٩ / ١٢١ ، وأبو داود فى : السنن : =

وحديث : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرنك، ولو بعد حين » (١) .

ب ـ على العمل الإسلامى :

وكما أن للاحتقار آثارًا على العاملين فإن له آثارًا على العمل الإسلامى منها .

١ ـ الحرمان من كسب الأنصار :

ذلك أنه مضى معنا الآثار التى يتركها الاحتقار على العاملين وتكون العاقبة الحرمان من العون والتأييد الأخوى وكما قيل : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .

٢ ـ الفرقة والقطيعة :

ذلك أن عملا يقوم على احتقار أبنائه بعضهم بعضًا، فماذا يرجى منه أو ينتظر سوى الفرقة والقطيعة الأمر الذى يمكن الأعداء من رقاب المسلمين ويكون ما لا تحمد عقباه :

٣ ـ طول الطريق وكثرة التكاليف :

ذلك أنه إذا تمكن الأعداء من رقاب الأمة، واستنزفوا خيراتها وثرواتها، وفكر الناس فى التحرير، وخلع ربقة الأعداء، فإن الأمر يتطلب منهم كثرة تكاليف وتضحيات ويطول الطريق إلا أن تدرك الناس رحمة الله .

الجانب الرابع : الأسباب المؤدية إلى الاحتقار :

هناك أسباب كثيرة تؤدى إلى الاحتقار نذكر منها :

١ ـ احتقار الأسرة الآخرين :

قد ينشأ المرء فى أسرة شأنها احتقار الآخرين والنيل منهم ويشاهد هذا فيها على الدوام، وتكون العاقبة سريان هذا الداء إليه من حيث لا يدرى، ولا يشعر لا سيما وأنه تأثير السلوك أوقع وأفعل فى النفس من تأثير القول .

= كتاب الزكاة: باب ما جاء فى كراهية أخذ خيار المال فى الصدقة ص ١٦١ رقم ٦٢٥، وكتاب البر والصلة باب ما جاء فى دعوة المظلوم ص ٤٦٤ رقم ٢٠١٤، والنسائى فى السنن، كتاب الزكاة : باب وجوب الزكاة ص ٣٣٥ رقم ٢٤٣٧ (المجتبى) وباب إخراج الزكاة من بلد إلى بلد ص ٢٥٤ رقم ١٧٨٣، وأحمد فى : المسند ١/ ٢٣٣ كلهم من حديث عبد الله بن عباس ﷺ مرفوعًا .

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الصيام : باب فى الصائم لا ترد دعوته ص ٢٤٩ رقم ١٧٥٢ من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا .

٢ ـ احتقار الأصدقاء الآخرين :

كما قد يعيش المرء فى جو من الصداقة شأنه احتقار الآخرين والاعتداء على حرماتهم، ويأخذ فى الاقتداء بهم : أو على الأقل محاكاتهم والتشبه بهم ، لا سيما إذا كان فى أول نشأتهم أو ليست لديه الحصانة الكافية حتى يصبح الاحتقار للآخرين خلقًا من أخلاقه .

٣ ـ الرغبة فى الثأر ، والانتقام :

كذلك الرغبة فى الثأر والانتقام، قد تكون السبب فى الاحتقار ذلك أن المرء قد يعامل من الآخرين : بيتًا، مدرسة، مجتمعًا باحتقار، وعدوان بين، ويتولد من نفسه الحقد حتى إذا أتيحت له الفرصة كان الثأر والانتقام كمظهر من مظاهر الاحتقار.

٤ ـ الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم :

إذ قد يخص الله عز وجل بعض الناس بنعمة أو أكثر من مال أو أهل أو ولد أو وجاهة، أو رياسة، أو علم أو قبول وإلف، أو قدرة على التأثير، أو نحو ذلك، فى الوقت الذى يقف فيه عند هذه النعمة أو تلك النعم، وينسى المنعم، وتكون النتيجة احتقار الآخرين، والنيل منهم .

٥ ـ الجهل بميزان التفاضل فى هذا الدين :

ذلك أن ميزان التفاضل فى هذا الدين ليس بمال، والأهل والولد ونحوها إنما هو بالإيمان والعمل الصالح، أو التقوى كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) ﴾ [سبأ] ، وكما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، ومن يجهل هذا الميزان يقع لا محالة فى آفة احتقار الآخرين والنيل منهم ، والعدوان عليهم .

٦ ـ عدم عناية المرء بمظهره :

ذلك أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده من باب : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ [الضحى] سواء فى الملبس، أو المركب ، أو المسكن ، أو نحوها .

والذى يجتهد فى إخفاء النعمة، ويظهر بمظهر غير لائق به إنما يفتح الباب أمام الآخرين لاحتقاره، والنيل منه، والعدوان عليه وربما على أهله وذويه، فتكون (على نفسها جنت براقش) [١] .

٧ ـ عدم قيام المجتمع بواجبه نحو من يحتقرون الآخرين :

ذلك أن واجب المجتمع حماية الفضيلة، ومحاربة الرذيلة بكل الأساليب والوسائل الممكنة على ألا تتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف، ومن ذلك مقاومة احتقار الناس بعضهم بعضًا، وإذا لم يقم المجتمع بواجبه فى مقاومة داء الاحتقار والقضاء عليه، فإنه يتفشى وينتشر فى كل نواحى المجتمع وسائر جوانب الحياة .

ويكون ما لا تحمد عقباه مما سبق ذكره فى الآثار ، والعواقب .

٨ ـ عدم قيام ولى الأمر بواجبه فى القضاء على الاحتقار :

ذلك أن واجب ولى الأمر فى الأمة : حفظ الأمن والنظام، وضبط كل شؤون الحياة، ومن ذلك مقاومة الاحتقار ، والقضاء عليه بكل ما منحه الله من أساليب القوة ووسائل المواجهة وحين يهمل فى القيام بذلك يتفشى الاحتقار وينتشر ويسرى فى المعمورة سريان النار فى الهشيم .

٩ ـ نسيان الآثار والعواقب المترتبة على الاحتقار :

قد يكون نسيان الآثار والعواقب المترتبة على الاحتقار من بين أسباب الوقوع فى الاحتقار؛ إذ من المعلوم أن نسيان الآثار والعواقب المترتبة على أمر ما قد تقود لا محالة إلى الوقوع فيه سيما إذا كانت النفس تميل إلى ذلك أو تهواه .

١٠ ـ عدم مراقبة الله والغفلة عن اليوم الآخر :

ذلك أنه عدم مراقبة الله والغفلة عن اليوم الآخر ، وما قد يكون فيه من شدائد وأهوال قد تقود جميعًا إلى احتقار الآخرين والنيل منهم، والعدوان عليهم إلى غير ذلك من الأسباب .

الجانب الخامس : علاج الاحتقار والوقاية من هذه الآفة :

إذا كان هذا شأن الاحتقار ماهية ومضمونًا وحكمًا وآثارًا وأسبابًا فما طريق العلاج بل الوقاية والاحتراز ويمكن إجمال ذلك فى هذه الخطوات :

---

(١) هو مثل مشهور يضرب لمن يجلب الشر إلى نفسه بيديه وهو لا يدرى ولا يشعر .

١ ـ أن يقوى المرء فى نفسه ملكة المراقبة لله عز وجل :

ذلك إنه إذا قويت مراقبة العبد لربه من أنه سبحانه يسمع ويرى ويعلم كل شىء وكان مبتلى بآفة احتقار عباد الله، والنيل منهم فإنه يقلع عن ذلك استحياءً من ذى الجلال والإكرام .

أما إذا كان سالمًا من هذه الآفة فإنه يتفقد نفسه، ويحرص كل الحرص ألا تتسرب إليه، أو تسيطر عليه، وسبق بيان طريق تقوية هذه الملكة .

٢ ـ أن يستحضر المرء الوقوف بين يدى الله عز وجل غدًا :

ذلك أن المرء حين يستحضر ساعة الوقوف بين يدى الله سبحانه وأنه سيسأله عن كل شىء ومن ذلك احتقار عباد الله والنيل منهم، والعدوان عليهم ثم بعد ذلك يكون القصاص وربما التعذيب بالنار وبئس المصير، حين يستحضر ذلك فإنه يبادر بتطهير نفسه من آفة الاحتقار هذه بل يعمل ألا يبتلى بها مرة أخرى، وقايةً لنفسه من هذا الموقف الأليم، وما سيكون بعده من شدائد ، وأهوال .

٣ ـ أن تعيد الأسرة النظر فى سلوكياتها :

ذلك أن الأسرة إذا أعادت النظر فى سلوكياتها : أقوالا وأفعالا وأقلعت عن احتقار الآخرين ، والنيل منهم، واعتذرت لأبنائها عما كان منها فى الماضى وبصرت بضرورة تقدير الناس واحترامهم، وكف الأذى عنهم ، إذا فعلت فإن له أعظم الأثر فى التخلى عن الاحتقار، وتحصين النفس ضده .

٤ ـ أن ينزع المرء نفسه من الصداقات الضارة، ويرتمى فى محضن الصداقات النافعة :

ذلك أن المرء إذا انتزع نفسه من الصداقات الضارة وحرص على الارتماء فى محض الصداقات النافعة، فإن ذلك يفتح له نافذة : أن يقلع عن احتقار الآخرين بل والوقاية من العودة إلى ذلك مرة أخرى ، حيث وجد على الخير أعوانًا بعد أن كان يجد على الشر أعوانًا .

٥ ـ أن يجاهد المرء نفسه على ترك الحقد المتمثل فى حب الثأر والانتقام :

ذلك أن المرء إذا أراد التخلص من احتقار الآخرين والنيل منهم فإن عليه أن ينسى إيذاء الآخرين له بالاحتقار المتمثل فى العدوان عليه إذ هذا ذنب الذين آذوه لا ذنب من يفكر هو فى إيذائهم وليتذكر أجر الصفح، والعفو ، بل الإحسان ، انطلاقًا من قوله

سبحانه : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران] . وقوله سبحانه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف] . ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠] .

وليتذكر موقف يوسف من إخوته وقد آذوه فى صور شتى وكذلك آذوا أخاه بنيامين ، وقابل ذلك بالعفو قائلاً : ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) ﴾ [يوسف] .

كما يتذكر موقف النبى ﷺ من أعدائه، وقد عاملهم بالعفو، والصفح، فانقلبوا محبين له بعد أن كانوا مبغضين .

٦ ـ أن يكثر المرء من ذكر المنعم عند ذكر النعمة :

ذلك أن النعمة التى يتمرغ العبد فيها ليل نهار لم تأته من تلقاء نفسها، وإنما كانت فضلاً من الله عز وجل والواجب حينئذ عبادته لا عبادة النعمة ويوم يصل المرء إلى هذا المستوى فإنه سيقلع عن احتقار الآخرين بالنيل منهم، والعدوان عليهم، من باب التوبة عما وقع منه فى الماضى، والعزم الأكيد ألا يعود إلى هذا الاحتقار مرة أخرى وإن قطع وحرِّق بالنار، على أن هذا المحتقر للآخرين بسبب تفرده بنعمة ما ينبغى ألا ينسى : أن لدى الآخرين نعمًا مفردة ليست لديه وما كان عطاء ربك محظورًا .

٧ ـ أن يدرك المرء حقيقة ميزان التفاضل فى هذا الدين :

ذلك أن ميزان التفاضل فى هذا الدين إنما هو بالإيمان والعمل الصالح (التقوى) لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [سبا: ٣٧].

وذكر النبى ﷺ صورًا عملية لهذا الميزان، جاء عن سهل قال : مَرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال : « ما تقولون فى هذا ؟ » قالوا : حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفَّع، وإن قال أن يستمع قال : ثم سكت، فمرَّ رجل من فقراء المسلمين فقال: « ما تقولون فى هذا ؟ » قالوا : حرى إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع، فقال رسول الله ﷺ : «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»[(١)].

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب النكاح : باب الأكفاء فى الدين ص ٩١٠، ٩١١ رقم ٥٠٩١ وكتاب الرقاق : باب فضل الفقر ص ١١٩ رقم ٦٤٤٧ وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب فضل الفقر ص ٦١٠ رقم ٤١٢٠ كلاهما من حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه مرفوعًا بهذا اللفظ وبنحوه .

وجاء عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة . . . وبينا صبى يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه : اللهم اجعل ابنى مثل هذا، فترك الثدى وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال : لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديه، فجلع يرتضع » قال : فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى ارتضاعه بأصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها . قال : « ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون : زنيت سرقت وهى تقول حسبى الله، ونعم الوكيل فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر إليها، فقال : اللهم اجعلنى مثلها فهناك تراجعا الحديث فقالت : مر رجل حسن الهيئة فقلت : اللهم اجعل ابنى مثله فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت ، سرقت فقلت : اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت : اللهم اجعلنى مثلها، قال : إن ذاك الرجل كان جبارًا ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله، وإن هذه يقولون لها : زنيت ولم تزن، وسرقت ولم تسرق فقلت : اللهم اجعلنى مثلها » (١) .

وجاءت تطبيقات الصحابة لتؤكد هذا الميزان :

فبلال العبد كان يوصف بالسيد بين الصحابة .

هذا عمر يذكر فضل أبى بكر، ومناقبه ومنها قوله : « وهذا سيدنا بلال حسنة من حسناته » (٢) .

وأقبل بلال، وأخوه فى الإسلام أبو رويحة إلى قوم من خولان فقالوا : « إنا قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين، فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله، وفقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله فزوجوهما»(٣).

وهذا أسامة بن زيد المولى ابن المولى يفرض له عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة، ويفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف، فقال عبد الله : لم فضلته علىَّ فوالله ما سبقنى إلى مشهد؟ قال : لأن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبى » (٤) .

وكان عمر ﷺ : لا يلقى أسامة قط إلا قال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، توفى رسول الله ﷺ وأنت علىَّ أمير » (٥) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: الصحيح : كتاب البر والصلة: باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، وغيرها ص ١١١٨، ١١١٩ رقم ٦٥٠٩/٨ من حديث أبى هريرة ﷺ مرفوعًا بهذا اللفظ .

(٢، ٣) انظر : نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمد بن حسن ١/ ٦٤ .

(٤، ٥) انظر : نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ١/١٨٤، ١٨٥ .

إن إدراك المرء لحقيقة هذا الميزان سيحمله إن كان جادًا على الانسلاخ من احتقار الآخرين وإهانتهم بل وحرصه على طهارة نفسه طهارة كاملة .

٨ ـ أن يهتم المرء بحسن مظهره :

ذلك أن المرء حين يهتم ويعنى بمظهره، فإنه يغلق الباب أمام احتقار الآخرين له، إذ هذا يعنى أنه يعتز بنفسه مبرزًا نعمة الله تعالى عليه، وأنه لا يقبل الضيم والإهانة حينئذ يهابه الآخرون ويعرفون له قدره ومكانته .

٩ ـ أن يقوم المجتمع بواجبه نحو مَن يحتقرون الآخرين :

ذلك أن المجتمع إذا قام بواجبه نحو من يحتقرون الآخرين، بكل الأساليب والوسائل التى لا تتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف، وأقلُّ ذلك الإنكار القلبى المتمثل فى قية هؤلاء ومحاصرتهم بحيث يشعرون أنهم غرباء، وأن مصالحهم أصبحت معطلة إن ذلك لو وقع من المجتمع سيكون من أنجح الطرق التى تحمل على التحرر من احتقار الآخرين ، بل والعمل على تحصين النفس من دخول الاحتقار إليها مرة أخرى .

١٠ ـ أن يقوم ولى الأمر بواجبه نحو من يحتقرون الآخرين :

أجل لو أن ولى الأمر قام بواجبه نحو من يحتقرون الآخرين، مرة باللين ومرة بالشدة، مرة بالترغيب ومرة بالترهيب ولولىّ الأمر من الهبة والاحترام ما ليس لغيره إنه لو قام بذلك لعمل بسرعة على معالجة الاحتقار والحصانة ضده . وما أجمل لو كان ذلك مصحوبًا بالإخلاص لله، واتباع السنة إن الله حينئذ سيبارك العمل ويمنح النصر والتأييد .

١١ ـ أن يتذكر المرء على الدوام عواقب الاحتقار :

ذلك أن هذا التذكر سيحمل العاقل على ترك الاحتقار، وحماية النفس من أن يقتحمها مرة أخرى لا سيما وأن هذه العواقب تشمل الدنيا والآخرة وتتناول الفرد والجماعة جميعًا .